الاتساق النّصي في خطب مختارة من مستدرك نـهج البلاغة

م. م سعد حسين علوان

المديرية العامة لتربية محافظة كربلاء المقدسة

الملخص

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى محمدٍ وآل بيته الطاهرين أما بعد ...

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على مفهوم الاتساق بوصفه واحداً من أهم المعايير النصية ؛ إذ يُعد أساس نصية أي نص ولا غنى عنه سواء كان النص أدبياً أم قرآنياً ؛ لذلك آثرنا في البدء إلقاء نظرة على مفهوم النص ، فوقفنا على معنى النص لغةً واصطلاحاً حسب المنهجيات على الرغم من صعوبة تحديد مفهوم جامع مانع له في خضم تعدد المصطلحات والمنهجيات التي تستخدم هذا المفهوم وتسخره في سبيل تحقيق أهدافها الخاصة ،ثم حاولت الوقوف على مفهوم الاتساق النصي وبيان أهم آلياته ومحاولة التعرف على مدى إسهام أدوات الاتساق الشكلية والمعنوية في تحقيق التماسك والتلاحم والترابط بين أجزاء النص عبر التطبيق على خطب مختارة من مستدرك نـهج البلاغة .

الكلمات المفاتيح : المعايير، النصية ، الاتساق ، مستدرك نهج البلاغة .

Abstract :

This study aims at shedding light on the concept of cohesion as one of must standards textual which are basic for the textual of any text whether it is literary or Quran in first we chose to stare concept text it gives linguistic and terminological meaning of the concept though there is no precise definition of this term .then I tried to identify the concept of textual consistency and explain its most and try to identify the extent of the contribution of formal and moral consistency tools to Achieving coherence, cohesion and coherence between the parts of the text .

Key Words: Textual Standards, Consistency, Proactive .

مفهوم النص ومعاييره ، دراسة نظرية :

لا بدَّ لنا أنْ نعرفَ المفهوم اللغوي للنّص ؛ لنستطيع أنْ نقفَ على مفهومه الاصطلاحي ، إذ يدور المفهوم اللغوي حول مجالات دلالية ، ويحدد بعض المؤشرات التي يمكن أن ترشدنا ، أو تجعلنا نقترب من تعريف النص على المستوى الاصطلاحي .

١- مفهوم النص في اللغة :

اتفق أصحاب المعجمات فيما يبدو على أنّ النّص هو الإظهار والوضوح والرفع ، فـ" (نص) النون والصاد أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على رفعٍ وارتفاعٍ وانتهاءٍ في الشيء " [١] . السير الشديد ، ونَصَصْتُ الشيء رفعته ، ونَصَصْتُ الحديثَ إلى فُلان أي رفعته إليه ونَصَصْتُ الرجلَ ، إذا استقصيت مسألته عن الشيء حتّى تستخرج ما عنده ، ونَصُّ كلِ شيءٍ منتهاه[٢] ، ونصَّ الحديث ينصّهُ نصّاً : رفعهُ ، ونصّتْ الظبية جيدها : رفعتهُ ، وكلُّ ما أُظهر فقد نُصَّ، أي وُضع على المنصة ، فهو على غاية الظهور والشهرة ونصَّ المتاعُ نصّاً جعل بعضهُ على بعض[٣]، ونَّصُّ: صيغة الكلام الأصلية من المؤلف ، " والنّص ما لا يحتمل إلّا معنًى واحداً ،أولا يحتمل التأويل "[٤] .

ونلاحظ أنّ " إطلاق النّص على صيغة الكلام الأصلية التي وردت من المؤلف معنى مستحدث للنّص اعتمده مجمع اللغة العربية ؛ لأنّ القدماء لم يصرحوا بهذا المعنى ؛ وإن كان كثير من المعاني التي أوردوها وطيدة الصلة بمفهوم النّص عند علمائه الذين يعنون بالنّص القطعة من الكلام طالت أو قصرت " [٥] .

ونلاحظ أيضاً : " أنّ الرفع والإظهار يعنيان أنّ المتحدث أو الكاتب لابد له من رفعه أو إظهاره لنصّه كي يُدركه المتلقي (المستمع أو القارئ). وكذلك ضمُ الشيء ، نلاحظ أنّ النّص في كثيرٍ من تعريفاته هو ضمّ الجملة إلى الجملة بالعديد من الروابط . وكون النّص أقصى الشيء ومنتهاه ، هو تمثيل لكونه أكبر وحدة لغوية يمكن الوصول إليها "[٦] . وإذا كان النّص هو الوسيلة اللغوية التي تنقل الأفكار وتحقق التواصل بين المُرسِل والمتلقي ،فهو بذلك يُطلق على العملية التعبيرية التي تكون الوحدات اللغوية قوامها [٧]

مفهوم النصُ في الاصطلاح :

لقد تعددت المفاهيم الاصطلاحية وتنوعت حول النّص ، وتعددت الرؤى أيضاً واختلفت الآراء ، فثمة اختلافات شديدة بين هذه الاتجاهات في تعريف النّص إلى حدّ التناقض أحياناً والإبهام والتعقيد أحياناً أخرى .فلا يوجد تعريف معترف به من قبل عدد من الباحثين في علم لغة النص بشكلٍ مطلق[٨] .فنجد أنّ " بعض تعريفات النّص تعتمد على مكوناته الجملية وتتابعها، وبعضها يضيف إلى تلك الجمل الترابط ، وبعض ثالث يعتمد على التواصل النّصّي والسياق ،وبعض رابع يعتمد على الانتاجية الأدبية أو فعل الكتابة وبعض خامس يعتمد على جملة المقاربات المختلفة والمواصفات التي تجعل الملفوظ نصّاً ، فيكون لدينا حصيلة كبرى من التعريفات التي تقربنا من ملامحه "[٩] .ولعلّ هذا التباين ناتج من اختلاف مناهج البحث والمصادر التي يأخذ عنها الباحثون عند تناولهم لمفهوم النص ، أو التقارب الحاصل بين علم اللغة النصّي والعلوم الأخرى، أو لتعدد معايير هذا التعريف ، أو لعدم اكتمال نحويات النص والتي تُفضي إلى عدم اكتمال علم النص [١٠]

إنّ المفهوم الأساسي لأي نصّ هو أن يكون وسيلة لنقل الأفكار والمفاهيم إلى الآخرين ، والنّص ليس هدفاً بحدِ ذاته ؛ لأنّه طريق للخطاب ، فهو ينقل شيئاً إلى المخاطب . فالنّص : " عبارة عن التوصيل اللغوي – سواء كان منطوقاً أم مكتوباً – لانة يعد رسالة فحسب تتخذ صورة شفرات محددة في صورتها المسموعة أو المرئية "[١١] . من خلال هذا التعريف تظهر لنا أهمية دراسة النّص ؛ وذلك لتقوية الاتصال اللغوي بين الناس ، فالغرض الأساسي من الدراسات اللغوية هو لتحسين الاتصال ، وليست اللغة بهذا التعريف إلّا نصّاً غرضه التوصيل بصورته المكتوبة والمسموعة .

النّص عند المختصين بدراسة لسانيات النّص قد أخذ مساحة كبيرة ، وسنذكر بعض تعريفات النّص ومنها ما ذكره (هاليداي) و(رقية حسن) من " أنّ كلمة نص تستعمل في علم اللغويات لتشير إلى فقرة مكتوبة أو منطوقة مهما كان طولها ، شريطة أن تكون وحدة متكاملة "[١٢] . ويبدو جلياً أنّ هذا التعريف ركز على أنّ النص يتضمن المنطوق أو المكتوب ، شرط أن يكون وحدة متكاملة .

وعرف (برينكر) النّص " تتابع متماسك من علامات لغوية لا تدخل تحت أي وحدة أخرى "[١٣] ، وعقب عليه (أحمد عفيفي) بأنّ هذا التعريف يجعل النص مركباً من عدّة جمل أو نصوص مما يؤدي إلى غموض النّص ، أو انعدام الروابط أحياناً ؛ لاستقلال الجمل نسبياً على حد الاستنتاج السابق [١٤] .

أما هارتمان فيرى أنّ النّص " علامة لغوية أصلية تبرز الجانب الا تصالي والسيميائي "[١٥]. ويرى محمد بحيري أنّ هذا التعريف على الرغم مما يتصف به من العموم إلّا أن في بعض الخصوصية له وهي ارتباط النص بموقف اتصال من جهة ، وامكانية تعدد تفسير العلامة اللغوية من جهة أخرى[١٦].

وعرّفه فاينريش " بأنّه تكوين حتمي يحدد بعضه بعضاً ؛ إذ تستلزم عناصره بعضها بعضاً لفهم الكل "[١٧] . أي أنّ النص كلّ ، أجزاؤه مترابطة من جهتي التحديد والاستلزام ، والفصل بين هذه الأجزاء يؤدي إلى عدم وضوح النص ، وعزل عنصر من عناصر النص أو إسقاطه يؤدي إلى عدم تحقق الفهم ، فالنص وحدة كلية لا تتجزأ ومتماسك دلالياً .

معايير نحو النّص :

هناك بعض الوسائل والمعايير التي تحقق مجتمعةً ما يسميه علماء النص بـ (النصية)، وتمثل المباحث الأساسية للسانيات ، وهذه المعايير أيضاً يتميّز عبرها النص عن اللّانص . إذن تحدد نصية النص من خلال اعتماده على جملة من الوسائل اللغوية .

يُعدُّ العالم اللغوي دي بوجراند من أوائل علماء النص الذين حددوا بدقة عالية معايير النص ، حيث قال في تعريف النص : " هو حدث تواصلي يلزم لكونه نصاً أن تتوافر له سبعة معايير للنصية مجتمعة ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلف واحد من هذه المعايير"[١٨] . وذكر في موضع آخر في كتابه : "وأنا أقترح المعايير التالية لجعل النصية TEXTUALITYأساساً مشروعاً لإيجاد النصوص واستعمالها "[١٩] .

وهذه المعايير هي[٢٠] :

١- الاتساق أو السبك : وهو يترتب على إجراءات تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق بحيث يتحقق لها الترابط الرصفي وبحيث يمكن استعادة هذا الترابط .

٢- الانسجام أو الالتحام : وهو يتطلب من الاجراءات ما تتنشط به عناصر المعرفة لإيجاد الرابط المفهومي واسترجاعه.

٣- القصد : وهو يتضمن موقف منشئ النص من كون صورة ما من صور اللغة قصد بها أن تكون نصاً يتمتع بالسّبك الالتحام .

٤- القبول : وهو يتضمن موقف النص إزاء كون صورة ما من صور اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نص ذو سبك والتحام .

٥- رعاية الموقف : وهي تتضمن العوامل التي تجعل النص مرتبطاً بموقف سائد يمكن استرجاعه .

٦- التناص : وهو يتضمن العلاقات بين نص ما ونصوص أخرى وقعت في حدود تجربة سابقة سواء بواسطة أم بغير واسطة .

٧- الإعلامية : وهي العامل المؤثر بالنسبة لعدم الجزم في الحكم على الوقائع النصية أو الوقائع في عالم نصي في مقابلة البدائل الممكنة .

وبيّن دي بو جراند أن هذه المعايير هي ليست جديدة ؛ لكن علاجها حتى هذه اللحظة جاء مفرقا ومدمجاً . وأكّد أنّ أكثر المعايير اتصالاً بالنص هما الاتساق والانسجام؛ لأنها تتصل بالنص في ذاته ، أما التناص ورعاية الموقف فاعتبرها عاملين نفسيين ، في حين جعل الإعلامية بحسب التقدير .

ويبدو أنّ هذا التصنيف للمعايير يدخلُ في حساباته النص وكل ما يتصل به من ظروف محيطة كالمرسل والمتلقي والسياق والمقام التواصلي والإعلامية والتناص .

الاتساق (السبك):

يُعد معيار الاتساق من أهم معايير النص ؛ لما له من أهمية قصوى في إبراز النصية ، ونظراً لعلاقته المباشرة بالنص[٢١] ، فالاتساق هو " اجراءات تبدو بها العناصر السطحية على صورة وقائع يؤدي السابق منها إلى اللاحق بحيث يتحقق لها الربط الرصفي وبحيث يمكن استعادة هذا الترابط "[٢٢] . ويهتم الاتساق بظاهر النص ، والمقصود من ظاهر النص هو " تلك الأحداث اللغوية التي ننطق بها أو نسمعها في تعاقبها الزمني ، والتي نخطها أو نراها ، وهذه الأحداث أو المكونات ينتظم بعضها مع بعض تبعاً للمباني النحوية . ولكنها لا تشكل نصاً إلا إذا تحقق لها من وسائل السبك ما يجعل النص محتفظاً بكينونته واستمراره "[٢٣] . وهذا المعيار لا يختص بنحو النص فقط ، بل يشمل أيضاً نحو الجملة ؛ وذلك لتعلقه بالروابط النحوية التي تربط بين أجراء الجملة وأجزاء النص[٢٤] .

أما وسائل الاتساق النصّي فنجد أقوال الباحثين قد تعددت حولها ، واختلفت من باحثٍ لآخر ويرجع هذا الاختلاف إلى كيفية تحليل النص ، وإلى تعدد المصطلحات التي يمكن اطلاقها على كل وسيلةٍ من وسائل الاتساق النصي ،ولكن لو تأملنا هذه الوسائل لوجدنا عدداً منها مشتركاً بين معظم الباحثين يجب توافره لتحقيق الاتساق ، ويُعد هاليداي ورقية حسن من أبرز من تحدث عن أدوات الاتساق ووسائله في كتابهما (الاتساق في العربية) ، حيث حصرا هذه الأدوات في خمس، وهي : الإحالة ، والابدال ، والحذف ، والعطف ، ثم التماسك النصي .

وسنقتصر في هذه البحث على دراسة وسيلتين من وسائل الاتساق النصي ، وهما (الإحالة ، والحذف)، وسنقوم بتطبيقهما على نماذج من خطب الإمام علي (عليه السلام)، من مستدرك نهج البلاغة ، للهادي كاشف الغطاء ؛ لأكشف عن مدى فصاحة هذه الخطب وبلاغتها ، وعن الكيفية التي ضمّنت الاتساق والتماسك بين أجزائها المكونة لها .

أولاً - الإحالة :

تُعد الإحالة من أهم وسائل الاتساق النّصّي ، وموضوعها لم يكن غائباً عن النحويين العرب المتقدمين عند د دراستهم للضمائر وما تُحيل إليه [٢٥] . أما عند علماء البلاغة العرب فقد بيّن عبد القاهر الجرجاني على وجود علاقات وطيدة بين عناصر النص الواحد ، فقال " واعلم أنّك إذا رجعت إلى نفسك علمت علماً لا يعترضه الشك ، أن لا نظم في الكلام ولا ترتيب ، حتى

يُعلّق بعضها ببعض ، ويُبنى بعضا ببعض ، وتجعل هذه بسببٍ من تلك، هذا ما لا يجهله عاقل ولا يخفى على أحدٍ من الناس "[٢٦] .

أما النصيين فلم نجدهم قد ابتعدوا في دراساتهم فنظروا إلى الإحالة من منظور لساني حديث وعرفوها بأنها " العلاقة بين العبارات من جهة وبين الأشياء والمواقف في العالم الخارجي الذي تُشير إليه من جهة أخرى"[٢٧] . ونراهم بذلك قد تجاوزوا حدود الجملة في الدرس النحوي، والإحالة علاقة قائمة بين الأسماء والمسميات ، فهي تعني العملية التي بمقتضاها تُحال اللفظة المستعملة على لفظة متقدمة عليها ، فالعناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكفي بذاتها من حيث التأويل ، وصور الإحالة استعمال الضمير ليعود إلى اسم سابق أو لاحق له بدلاً من تكرار الاسم نفسه "[٢٨] .

قسم الباحثان هاليداي ورقية حسن الإحالة على قسمين رئيسيين، هما : إحالة نصية (داخلية)، وإحالة مقامية (خارجية)، وتنقسم النصية على قسمين أيضاً : إحالة قبلية ، وإحالة بعدية ، وذهب الباحثان إلى أنّ الإحالة المقامية تساهم في خلق النص ؛ لكونها تربط اللغة بسياق المقام ، إلا أنّها لا تساهم في اتساقه بشكل مباشر، بينما للإحالة النصية دور بارز وفعّال في اتساق النص ، لذلك اهتما بها وجعلاها معياراً للإحالة [٢٩].

١ـ الإحالة الداخلية :

وهي إحالة على العناصر اللغوية الواردة في الملفوظ سابقة كانت أو لاحقة ، وتقسم بدورها على قسمين :

أ- الإحالة القبلية : وهذه الإحالة تعود على مفسر سبق التلفظ به ، وفيها يجري تعويض لفظ المفسر الذي كان من المفروض أن يظهر حيث يرد المضمر، وتشمل الإحالة القبلية على نوع آخر من الإحالة يتمثل في تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ في بداية كل جملة من جمل النص قصد التأكيد وهو الإحالة التكرارية ، والإحالة القبلية أكثر دوراناً في الكلام [٣٠]

ب- الإحالة البعدية : وهذه الإحالة تعود على مفسر متأخر، وهي أسلوب يلجأ إليه المرسل في بعض السياقات قاصداً الغموض وعدم الوضوح ، في مقابل البيان والتبيين [٣١].

٢ـ الإحالة الخارجية (المقامية):

حيث تقوم هذه الإحالة على وجود ذات المخاطب خارج النص ، مع وجود عنصر إحالي لتَعيينه ، أو الإتيان بالضمير للدلالة على أمرٍ ما غير مذكور في النص ، لكن يمكن التعرف عليه من سياق الموقف ، ويُطلق عليها أيضاً الإحالة لغير مذكور [٣٢] .

وسائل الإحالة : " وتتفرع وسائل التماسك الإحالية إلى الضمائر وأسماء الإشارة والموصول وأدوات المقارنة مثل التشبيه وكلمات المقارنة مثل أكثر وأقل ....إلخ "[٣٣]، وسنكتفي من وسائل الإحالة بالضمائر وأسماء الإشارة والاسم الموصول للتطبيق في كتاب مستدرك نهج البلاغة .

أ- الضمائر : الضمير " هو اسم جامد يدلّ على : متكلم ، أو مخاطب ، أو غائب "[٣٤]. والضمائر بحسب تقسيم هاليداي ورقية حسن نوعين :" وجودية ، مثل ،أنا ،أنت ،نحن ،هو، هم هن .....إلخ . وإلى ضمائر ملكية مثل : كتابي ، كتابك ، كتابهم ، كتابه ، كتابنا ... إلخ " [٣٥] .

والضمائر هدفها في الكلام هو الاختصار والاختزال ومنع الألفاظ من أن تتكرر ؛ لأنّ " الأسماء المضمرة إنما رُغب فيها وفُزع إليها طلباً للخفة بها بعد زوال الشك بمكانها "[٣٦].

إذا نُظر إلى الضمائر من زاوية الاتساق النصي أمكن التمييز فيها بين أدوار الكلام والتي تندرج تحتها جميع الضمائر الدالة على المتكلم ، والمخاطب ، وهي إحالة لخارج النص بشكلٍ نمطي ، ولا يمكن أن تكون إحالة داخلية إلّا في الكلام المستشهد به أو خطابات متنوعة مكتوبة من ضمنها الخطاب السردي . أما الضمائر التي تؤدي أدواراً أخرى غير الخطاب والتكلم ، وهي ضمائر الغيبة ، ولها دوراً مهماً في اتساق النص ، وتحيل قبلياً بشكل نمطي ، إذ تقوم بربط أجزاء النص وتصل بين أقسامه [٣٧] .

إنّ البناء التركيبي لخطب الإمام علي (عليه السلام) يعتمد اعتماداً كبيراً على الإحالة ، لأنّها تسهم في إرساء العلاقات الدلالية وذلك من خلال ربطها الوحدات النصية الصغرى لتحقيق الاتساق داخل النص .

ومن مواضع الإحالة بالضمائر في كتاب مستدرك نهج البلاغة :

من خطبةٍ له (عليه السلام) خطبها في المدينة المنورة : " **الحمدُ للهِ الذي منع الأوهام أن تنال وجوده ، وحجب العقول أن تتخيل ذاته لامتناعها عن الشبه والمُشاكل ، والنظير والمماثل ، هو الذي لا يتفاوت في ذاته ، ولا يتبعض بتجزئة العدد في كماله ، فارق الأشياء لا باختلاف الأماكن، وتمكن منها لا على جهة الحلول والممازجة ، وعلِمها لا بأداةٍ إن ، قيل : كان ، فعلى تأويل أزلية الوجود . وإن قيل : لم يزل ، فعلى تأويل نفي العدم** " [٣٨] .

الجملة الأولى في هذه الخطبة المباركة :(**الحمدُ للهِ**) ، هي الجملة النواة ؛ ذلك لاحتوائها على عنصر مشار إليه دارت حوله الضمائر فيما بعد ، فشكل لفظ الجلالة (الله) العنصر المشار إليه الذي دارت حوله الضمائر الظاهرة في النص :(وجوده ، ذاته ، كماله)، وكذلك الضمائر المستترة في :(منع ، حجب ، يتفاوت ، يتبعض ، فارق ، تمكن ، علمها ،كان ،يزل)؛ ليحقق ذلك وحدة نصية متماسكة . وكان للضمائر دور بارزفي اتساق النص ، كما اسهمت في ربط الجمل دلالياً ،فوظيفة الإحالة الضميرية لا تقتصر على الاتساق الشكلي بين الجمل ؛ بل هي علاقة وظيفتها الأساسية دلالية ، إذ إنّ الضمائر تقوم على ربط الدلالات المتناثرة للجمل[٣٩] وكذلك الاختزال الذي بواسطته تسمح لنا اللغة بتكثيف رسائلنا بدلاً من التعبير المكرر عن الأفكار المعادة ، ونجد أنّ الضمائر قد احتلت صدارة الترتيب في الخطبة وساعدت بشكلٍ فعالٍ في اتساقها ؛ وذلك بالنظر لما أحالت إليه وحافظت على استمراره ومنعت تكراره ، فأراد الإمام (عليه السلام) أن يبيّن لن صفات الخالق تبارك وتعالى ، وهذه الصفات تعود على مرجع واحد وهو الله جل وعلا ،وهذا نجده من خلال عودة ضمائر الغيبة على لفظ الجلالة .وهذا النوع من الإحالة هو إحالة قبلية ؛ لأنّها تعود على مفسر قد سبق التلفظ به .

ومن خُطبةٍ له (عليه السلام) تُعرف بالطّالوتيّة : " **ما كان مستوحشاً قبل الابتداع ، ولا خُلواً من الملك قبل الإنشاء ، ولا يكون خلواً منه بعد الذهاب ، لا تُدركه حَدَقُ الناظرين ، ولا تُحيط به سمعُ السامعين** " [٤٠] .

في هذه الخطبة تُعدُّ الإحالة مظهراً مهماً من مظاهر اتساقه ، وتميزت أيضاً بخاصية التنوع في أطراف الخطاب ، ويبدو أنّ هذا التنوع قد منح النص ثراءً دلالياً، وانقسمت الإحالة على أقسام هي :

١- إحالة خارجية تعود على (الله) تبارك وتعالى وهي :(ما كان ، ولا يكون ، لا تدركه) .فإحالة الضميرين المستترين (كان ، ويكون) تقدير الضمير (هو)، وضمير الغائب (الهاء)، لا تحتاج إلى البحث عن متقدم أو متأخر، أو البحث عن محيل داخلي ، (فما كان ولا يكون ولا تدركه) لله وحده جلّ وعلا ، وليس لأحدٍ غيره ، إلّا أنّه بالرجوع إلى النص لا نجد لفظ الجلالة قد ذكر في النص ، وهذا يدلّ على أنّ الضمائر قد أحالت إحالة خارجية .

٢- إحالة داخلية قبلية في قوله (عليه السلام) : (ولا خلواً من الملك قبل الإنشاء ، ولا يكون خلواً منه بعد الذهاب) ،فضمير الغائب في (منه) يعود على (الملك) فالضمير يعود على مفسرٍ سابق.

ومن كلام له (عليه السلام) لما نزل بالنخيلة وأيس من الخوارج :قام فحمد الله واثنى عليه ثم قال : " **فإنّهُ من ترك الجهادُ في الله ،وادّهن في أمره ، كان على شفا هلكةٍ ، إلّا أن يتداركهُ الله ، فاتقوا الله ، وقاتلوا من حادّ الله ، وحاول أن يُطفئ نور الله ، قاتلوا الخاطئين الضالين الذين ليسوا بقرّاءٌ للقرآن ، ولا فقهاء في الدين ، ولا علماء في التأويل ، ولا بأهلٍ لهذا الأمر ، ولَو ولِّو عليكم لعملوا فيكم بأعمال كِسرى وقيصر**"[٤١] .

نلاحظ أنّ ضمير الشأن في (إنّه) يُحيل إلى نص لاحق (من ترك الجهاد في الله وادهن...) جاء بها الإمام (عليه السلام) لغرضٍ بلاغي ، ألا وهو تشويق المتلقي لما سوف يُتلى عليه لا سيما أنّ هذه الخطبة فيها تشويق للجهاد في سبيل الله تعالى وقتال الخوارج ، وفي ضمير الشأن تعظيم لما سوف يقول وهو أمرٌ يهمُّ المتلقي غاية الاهتمام ، وهو دعوة للقتال في سبيل الله جلّ وعلا . إذاً ضمير الشأن حقق تماسكاً نصياً من خلال الربط بين الضمير وما بعده من النص المفسر له ، وجاء به الإمام (عليه السلام) متقدماً لغرضٍ شدّ الانتباه وتشجيعهم على الجهاد والقتال في سبيل الله تبارك وتعالى . ونجد في ضمير الشأن دلالة نصية لم تتحقق هذه الدلالة لو قُدم المفسَّر وجيء بضمير غائب عائد إليه ، وقد أشار عبد القاهر الجرجاني إلى ذلك بقوله : " جملة الأمر أنّه ليس إعلامك الشيء بغتةً غُفلاً ، مثل إعلامك له بعد التنبيه عليه والتقدمة له ، لأنّ ذلك يجري مجرى تكرير الإعلام في التأكيد والإحكام .ومن ههنا قالوا : أنّ الشيء إذا أُضمر ثم فُسِر كان ذلك أفخم له من أن يُذكر من غير تقدِمه إضمارٍ" [٤٢] .

ب- أسماء الإشارة : هي من الوسائل المهمة في اتساق النص، تقوم بالربط القبلي والبعدي ، فهي تربط جزءاً لاحقاً بسابق ، وتجعل النص أكثر اتساقاً ،ولا تختلف عن الضمائر في كونها في كونها نصية وتحتاج إلى ما يفسرها[٤٣] لأنّها أسماءٌ مبهمةٌ[٤٤]، "يعيّن مدلوله تعييناً مقروناً بإشارة حسية "[٤٥].ومن تطبيقاتها في كتاب مستدرك نهج البلاغة :

من خطبةٍ له (عليه السلام) : " **فرحم الله امرأً راقب ربّه، وتنكب ذنبه وكابر هواه، وكذب مناه ، زمّ نفسه من التقوى بزمامٍ . وقادها ، وألجمها من الخشيةِ بلجامٍ. فقادها إلى الطاعة بزمامها وكبحها عن المعصية بلجامها، رافعاً إلى المعاد طرفه متوقعاً في كلِ آنٍ حتفه ، دائم التفكير، طويل السهر، عزوفاً عن الدنيا ، كدوحاً للأخرى، ، جعل الصبر مطية نجاته ، والتقوى عِدة وفاته، قد طوى مِهاده وهجر وساده. عظمت آماله وارتعدت أوصاله، لا يُظهِر دون ما يكتم و يكتفي بأقلِ مما يعلمُ . أولئك ودائع الله المدفوع بهم عن عباده لو أقسم أحدُهم على** الله لأبرهُ "[٤٦] .

نجد اسم الإشارة (أولئك) قد حقق تماسكاً عبر الربط الذي قام به بين أجزاء النص ، كذلك الابتعاد عن التكرار الممل الذي ينفر منه المتلقي . فقوله (عليه السلام) (أولئك ودائع الله المدفوع بهم ....) يفسر أسم الإشارة النص المتقدم عليه وفك ابهامه ، فقام اسم الإشارة بنوع من الربط بين جزءٍ لاحق بجزءٍ سابق . فالإمام (عليه السلام) قد استغنى عن ذكر الكلام المتقدم مرة أخرى باستعمال اسم الإشارة (أولئك) ؛ اسم الإشارة كان بمثابة الوحدة النصية السابقة ، فالإحالة في هذا النص قبلية .

ويقوم اسم الإشارة أيضاً بالإحالات البعدية عندما يعود على مفسرٍ لاحق ، ومن ذلك قوله (عليه السلام) من خطبةٍ له : " **إنّ لا يقاس بآلِ محمّدٍ من هذه الأُمة أحدٌ ، ولا يستوي بهم مَنْ جَرَتْ نعمتهم عليه ، نحنُ أطول الناس أغراساً ، أفضل الناسِ أنفاساً ، نحن عماد الدين بنا يلحق التالي ، وإلينا يفيء الغالي** ... "[٤٧] .

المرسل إليه لم يفهم شيئاً من اسم الإشارة (هذه)، فليس هناك معنى في ذهنه ، حتى جاء المرسِل بقوله : (الأمة) ليزول الغموض والابهام ، وأستعمل الإمام (عليه السلام) اسم الإشارة (هذه) وتستعمل للقريب ؛ لأنّه أراد أن يجعل الشيء المشار إليه (الإمة) قريباً حاضراً ، والإحالة الحاصلة في هذا النص ، هي إحالة بعدية ، فالعنصر المُحال يُشير إلى مفسرٍ لاحق .

ومن الإحالة الخارجية لاسم الإشارة ، من دعاءٍ له (عليه السلام) :

" كان إذا ركب دابةً يضع رجله في الركاب ويقول : بسم الله ، فإذا جلس على ظهرها قال : سبحان الله الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنّا إلى ربّنا لمنقلبون ...."[٤٨]

اسم الإشارة في هذا النص ليس له مفسرٍ في داخل النص ، وإنّما مفسره في خارج النص يُفهم من السياق أو المقام وهو :(الدابة)، وقد جاءت الإحالة النصية في هذه الخطبة باستخدام اسم الإشارة (هذه) رابطاً للنص وإحالةً لما بعدها .

ج- الاسم الموصول :

الاسم الموصول، "هو اسم غامض مبهم يحتاج دائماً في تعيين مدلوله، وإيضاح المراد منه إلى أحد شيئين بعده ؛ إما : جملة وإما شبهها، وكلاهما يسمى : صلة الموصول ، ولا بد في الجملة من ضمير يعود على اسم الموصول ، أو ما يُغني عن الضمير، - طبقاً للبيان الخاص بالصلة - وهذه الصلة هي التي تفيد الموصول الحرفي التعريف "[٤٩] .

يُعد الاسم الموصول من وسائل وأدوات الإحالة التي تعمل على اتساق النص وترابطه والأسماء الموصولة تتشارك مع بقية أدوات الاتساق الإحالية الأخرى في عملية التعويض ،فهي ألفاظ كنائية لا تحمل دلالة خاصة ،وكأنها جاءت عما تحيل إليه ، وهي أيضاً تقوم بالربط الاتساقي من خلال ذاتها ومرتبطة بما يأتي بعدها من صلة الموصول التي تصنع ربطاً بين ما قبل الذي وما بعده ، حيث يشير النحويون إلى أنّ تلك الصلة ينبغي أن تكون عند المرسل إليه قبل ذكر اسم الموصول [٥٠] . ومن مواضع الإحالة بالاسم الموصول في كتاب مستدرك نهج البلاغة :

من خطبةٍ له عليه السلام : " **الحمدُ لله الذي توحد بصنع الأشياء على غير مثالٍ سبقَهُ في إنشائها، ولا إعانة معينٍ على ابتداعها ، ابتدعها بلُطف قدرته، خاضعةً لمشيئته مستحدثةً لأمره ، فهو الواحد بغيرِ حدٍّ ولا زوال** ...." [٥١] .

فقوله (عليه السلام): (الحمد لله الذي توحد بصنع الأشياء) أُحيل الاسم الموصول(الذي) على لفظ الجلالة ، وربط الاسم الموصول بين جملتين : الجملة التي تسبقه، والجملة التي تليه، فلو لم يُستعمل الاسم الموصول في الربط لكانت الجملة :(الحمدُ لله الله توحد بصنع الأشياء) لتكرر لفظ الجلالة في الجملة . وهذا اسهابٌ وثقل في الكلام ، فالعناصر الإحالية (الاسم الموصول) تكون دائماً أخف من العناصر الإشارية (المحال عليها)، وأكثر اختصاراً منها ، سواء كانت العناصر الإشارية ذات ، أو معنى ، أو جملة ، أو عدة جمل[٥٢] ، فـ" الاختصار هو جلّ مقصود العرب ، وعليه مبنى أكثر كلامهم "[٥٣] ، فالنص – على هذا- وحدة متماسكة ؛ إذ تقود كل الأحداث

الواردة ذكرها في النص إلى مركزٍ واحدٍ هو المذكور في الجملة الأولى (الله) ، ذلك أنّ الموضوع الأساس في النص هو بيان عظمة الله تبارك وتعالى . ونوع الإحالة قبلية .

ومن كلامٍ له (عليه السلام) : " **قد عاقبتكم بدُرتي فلم تبالوا، وضربتكم بسوطي فلم ترعووا، وإنّي لأعلمُ الذي يُقيم أوْدكم ، ولكن لا أشتري صلاحكم بفساد نفسي ، بل يُسلط الله عليكم من ينتقم لي منكم ،فلا دنيا بها استمتعتم ،ولا آخرةً إليها صِرتُم فبُعداً وسُحقاً لأصحاب السعير** "[٥٤]

الإحالة في هذا النص خارجية ؛ لأنّ الاسم الموصول (الذي) يُحيل على عنصر إشاري (محال عليه) غير موجود في النص ويفهم من سياق المقام ، ومع ذلك فنجد أن الاسم الموصول قام بالاتساق النصي من خلال ربطه النص بخارجه (الشيء الذي يقيم به الإمام (سلام الله عليه) أودهم) ، وهذا الشيء يفهمه المتلقي من سياق المقام ، وأيضاً قد ربط الاسم الموصول الجملة التي قبله بالتي بعده .

ومن كتابٍ له (عليه السلام) إلى مالك الأشتر:

"**صِلْ من قطعك؛ واعطِ من حرمك ، واعفُ عمن ظلمك . وأحسن إلى من أساء إليك . وقل الحقَّ ولو على نفسك .** "[٥٥] .

الإحالة هنا خارجية ، والمحال إليه غير موجود وغير وارد في نص الخطبة ، أما العنصر الإحالي فهو الاسم الموصول (مَن) - وهو من الأسماء الموصولة العامة ، لأنّ دلالته عامة (للمذكر ، والمؤنث ، والمفرد ، والمثنى ، والجمع) - قد تعدد في النص وأحال أيضاً على عناصر خارجية متعددة غير واردة في النص ،وللمتلقي أن يفهمها من السياق، وقامت العناصر الإحالية بربط العناصر الخارجية التي تُفهم من السياق بالنص .

ثانياً - الحذف :

مفهوم الحذف :

الحذف في اللغةً : "حذف الشيء : إسقاطه . ويقال : حذفت من شعري ومن ذنب الدابة ، أي أخذته " [٥٦]،و"حذف الشيء يحذفه حذفاً : قطعه من طرفه "[٥٧]،"وحذفه يحذفه : أسقطه، ومن شعره أخذه" [٥٨].

الحذف في الاصطلاح : " هو إسقاط جزء من الكلام لدليل " [٥٩] . فالعرب تحذف الجملة ، والمفرد ، والحرف ،والحركة ، وليس شيء من ذلك إلّا عن دليل يدل عليه وإلّا كان فيه ضرب من التكلف [٦٠] ،" والأصل في المحذوفات جميعها على اختلاف ضروبها أن يكون في الكلام ما يدل على المحذوف ، فإن لم يكن هناك دليل على المحذوف ، فإنه لغوٌ من الحديث ، لا يجوز بوجهٍ ولا سببٍ "[٦١] .

لم يكن الحذف غائباً عن أذهان النحويين القدماء ، بل استحسنوه في كلامهم ، ونجده حاضراً في مؤلفاتهم ، وهذا ما نجده عند سيبويه (ت١٨٠هـ) فذكره بقوله : " وكلما طال الكلام فهو أحسن ، نحو قولك : حضرَ القاضي امرأةٌ ؛ لأنّه إذا طال الكلام فالحذف أجمل "[٦٢] ، فلغتنا العربية تميل إلى الإيجاز والاختصار، وتبتعد كثيراً عن الاطناب ، والحذف من الوسائل اللغوي التي تحقق هذا الغرض

إنّ الأصل في اللغة العربية هو الذكر ، ولا يجوز الحذف إلّا مع وجود قرينة تدل على المحذوف من قرينة لفظية أو معنوية ، ويلجأ المتكلم اليه على سبيل الاختصار والإيجاز ،

ولتجنب التكرار ، والحذف لا يحصل في الجملة إلّا عندما تكون العناصر الموجودة كافية الدلالة على المعنى ، والعلماء تكلموا عن الحذف ، وذكروه في مؤلفاتهم ، فجعله ابن جني من شجاعة العربية [٦٣]، أما ابن فارس فعده من سنن العرب [٦٤].

وذكره عبد القاهر الجرجاني بقوله : " هو باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ عجيب الأمر شبيه بالسحر ، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة ، أزيد للإفادة ، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتمّ ما تكون بياناً إذا لم تُبن " [٦٥] ، و" من سنن العرب الحذف والاختصار؛ يقولون : والله أفعل ذاك ؛ تريد لا أفعل . وأتانا عند مغيب الشمس ،أو حين أرادت ، أو حين كادت "[٦٦] . والحذف يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمعنى ودلالته ،وقوته تكمن في التأثير في المتلقي ، فهومن وسائل الإيجاز ،وأحد أغراض اللغة العربية ، " فرُبّ لفظ قليل يدلّ على معنى كثير ، ورُبّ لفظ كثير يدلّ على معنى قليل " [٦٧] . وجعله العلوي ضرباً من الإيجاز ؛ لأنّ موضوعه على الاختصار[٦٨]

أما في الدراسات النصية الحديثة ، فالحذف من الظواهر النصية التي لها دورٌ كبيرٌ وبارزٌ في اتساق النص وترابطه، وهو من الوسائل التي تتم داخل النص ، أي إنّ الحذف علاقة مرجعية لما سبق في الغالب ، وقد تكون المواقف الخارجية أو المعلومات التي يمتلكها المتلقي هي التي تفسر لنا الحذف، فتكون مرجعيته خارجية ولكن الحذف الخارجي يخرج عن السبك النصّي إلى تماسك النص مع السياق[٦٩] . وقد حدد الباحثان (هاليداي ورقية حسن) الحذف بأنّه : " علاقة داخل النص ، وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النص السابق . وهذا يعني أنّ الحذف عادة علاقة قبلية "[٧٠] .

والحذف بكونه من وسائل الاتساق النصي ، فهو لا يختلف كثيراً عن الاستبدال ، فهو استبدالٌ بالصفر، أي أن الحذف لا يُخَلف أثراً ، بينما نجد علاقة الاستبدال تترك أثراً، وهو وجود أحد عناصر الاستبدال ، فالمستبدل يبقى مؤشراً يستدل به القارئ للبحث عن العنصر المقترض فيمكنه ذلك من ملء الفراغ الذي أحدثه الاستبدال، بينما نجد عكس ذلك في الحذف فالعنصر المحذوف لا يُعوض مكانه أي شيء ، لذلك نجد في الجملة الثانية يحصل فراغاً بنيوياً يهتدي المتلقي إلى ملئه اعتماداً على ما ورد في الجملة الأولى أو النص السابق[٧١] .

لقد أشار القدماء إلى أسباب الحذف وأغراضه التي يؤديها، ومنها : الاختصار ، والتفخيم ، والإعظام لما فيه الإبهام ، والاحتراز عن العبث ، والتخفيف لكثرة دورانه في الكلام ، ومنها شهرته حتى يكون ذكره من عدمه سواء، أو لعلم السامع بالمحذوف [٧٢] . والذي يعنينا هو أن نبحث في الظاهرة وما تحققه من أثر في اتساق النص .

قسم الباحثان (هاليداي ورقية حسن) الحذف على ثلاثة أقسام : (الحذف الاسمي ، والحذف

الفعلي ، والحذف القولي (الجملي) ،مع الاهتمام الأكبر بالعلاقات بين الجمل ، أذن أن الحذف داخل الجملة خارج الاهتمام ؛ لأنّه يدخل في بنية الجملة ، والحذف لانة بعد شكلاً من أشكال العلاقة بين الجمل فهو سمة أساسية من سمات النصية .

ومن مواضع الحذف في كتاب مستدرك نهج البلاغة :

من دعائه (عليه السلام) عند الاستهلال : " **أيها الخلقُ المطيعُ الدّائب السريع المتردد في فلك التدبيرِ المتصرف في منازل التقدير، آمنتُ بمن نوّر بك الظُلم وأضاء بك البُهَمَ ، وجعلكَ آيةً من آياتِ سلطانهِ ، وامتهنك بالزّيادة والنُّقصان والطّلوع والأفول والزيادة والخسوف ، في كل ذلكَ أنت له مطيع وإلى إرادته سريع ، سبحانه ما أحسن ما دبر واتقن ما صنع ، جعلكَ هلالَ**

شهرٍ حادثٍ لأمرٍ حادثٍ، جعلكَ الله هلالَ أمنٍ وإيمانٍ وسلامةٍ وإسلام ، هلالَ أمنٍ من العاهات وسلامةٍ من السيئاتِ ، اللهم أهدى من طلع عليه وأزكى من نظر إليه ."[٧٣]

الجملة الأولى من النّص تمثل المعلم الرئيس للنّص ، حيث يتوفر المرجع المُفسِّر لما يعود عليه من المبهمات ، والمرجع لأغلب المحذوفات في النص ، فقد عمد الإمام (عليه السلام) إلى حذف المفعول به للفعلين (دبّر ، وصنع) ؛ ذلك ليتسنى للمتلقي أن يملأ الفراغ بمفاعيل مناسبة للفعلين ، فقد يكون المحذوف أكثر من مفعول، وبذلك يولد ثراءً دلالياً لا يتوفر مع وجود المفعول ويفتح النص أمام المرسل إليه ، وأيضاً كي يتجاوز المرسل حدود زمان ومكان التلقي لينسجم الخطاب مع كل زمانٍ ومكانٍ . وقد يكون الغرض من حذف المفعولين ؛ لأنهما ليسا مقصودين بالكلام ، والمقصود هو التدبير والصنع ، ويجوز حذف المفعول به من غير دليل عليه إذا كان الحذف (اقتصاراً)؛ لأنّ المحذوف غير منوي أصلاً في ذهن المتكلم ولا مقصود ، والغرض هو إثبات معنى الفعل للفاعل من غير التعرض لمعنى المفعول[٧٤] . ومن ذلك قوله تبارك وتعالى :" وأنّه هو أمات وأحيا "[٧٥] ، فالأفعال المذكورة ليس المقصود منها ذكر مفاعيلها ، وإنما المقصود الاقتصار على اسنادها للفاعل ، ذلك لبيان اتصاف الله جلّ وعلا بالإماتة والإحياء دون أن تُقيّد هذه الأفعال بمفاعيل مخصوصة[٧٦] .

كذلك نجد في النص حذفاً للفعل والفاعل والمفعول الأول للفعل ، في قوله (عليه السلام): (هلالَ أمنٍ من العاهات) والتقدير:(جعلك هلالَ أمنٍ من العاهاتِ)، وقد عمد المرسل إلى حذفها لدلالة الكلام السابق عليها في قوله (عليه السلام) : (جعلك آية من آياتِ سلطانه ...وجعلك هلال شهرٍ حادث... وجعلك هلالَ أمنٍ وإيمان). ويحذف الفعل جوازاً إذا دلّ عليه دليل[٧٧] ، " فالذكر قرينة لفظية والحذف إنّما يكون بقرينة لفظية أيضاً ، ولا يكون تقدير المحذوف إلّا بمعونة هذه القرينة . وأهم القرائن الدالة على المحذوف هي الاستلزام ، وسبق الذكر ، وكلاهما من القرائن اللفظية "[٧٨] والغرض من الحذف في هذا الموضع هو الاختصار .

ومنه قوله (عليه السلام) : " **فإذا تلاقيتم فتصافحوا بالتسليم، وتهانوا النعمة في هذا اليوم، وليبلغَ الحاضرُ الغائبَ، والشاهدُ البائنَ ، وليَعُدِ الغنيُ الفقيرَ ، والقويُّ على الضعيفِ أمرني رسولُ الله (صلى الله عليه وآله) بذلك ."**[٧٩]

في هذا النص نجد المرسل قد حذف الفعل في موضعين :(الشاهدُ البائن)، و(القويُ الضعيف)، والتقدير: (وليبلغ الشاهدُ البائنَ)، (وليترحمُ أو ليتصدّق القوي على الضعيف)، فالفعل الأول حُذف لوجود دليل لفظي سابق عليه (وليبلغ الحاضر الغائب)، والفعل الآخر حُذف لدلالة السياق اللفظي عليه.

وللحذف دورٌ في عملية الربط السطحي للنص، فالمتلقي يرجع إلى عناصر مقالية أو مقامية على أكثر من جملة ، " فإذا كان المحذوف في جملة ، والدال عليه مذكور في جملةٍ أخرى ، سواء أكانت في هذا النص أم في أم في نصٍ غيره ، بشرط صدور النصين من قائلٍ واحدٍ فإنّ هذا يُسهم ، في الحقيقة ، في تحقيق تماسك هاتين الجملتين أو هذه الجمل ، خاصة إذا كان المحذوف من لفظٍ مذكور أو يترادف معه ، أو يتقابل معه "[٨٠] .

ومنها قوله (عليه السلام) : " **إنّ الله داوى هذه الأُمة بدوائين : السّوط والسيف ، فلا هوادة عند الإمام فيهما ،استروا بيوتكم وأصلحوا ذات بينكم ، والتوبة من ورائكم .من أبدى للحق هلك. قد كانت أُمورٌ لم تكونوا عندي فيها بموجودين ، أما إنّي لو أشاء أن أقول لقلت : عفا اللهُ عما سلف** " [٨١].

عمد المرسل في هذا النص إلى حذف المبتدأ في (إنّ الله داوى هذه الأمة بدوائين: السوط والسيف) ، والتقدير: (هما السوط والسيف) ، وحذف المبتدأ يكثر بعد القول ومشتقاته من الأفعال والأسماء، اعتماداً على الدليل عليه من السياق اللفظي السابق[٨٢] (بدواءين) ، فالمتلقي يرجع إلى النص ليتسنى له التأويل في فهم المحذوف وهذا بدوره يحقق اتساقاً بين الجمل الواردة في النص ، والفائدة عن طريق حذف المبتدأ ، هي الاختصار في الكلام، فالعرب تلجأ إلى التخفيف والاختصار في كلامها قدر الإمكان لوجود القرينة [٨٣].

ومن خطبةٍ له بالمدينة : حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآل ثم قال :

" ألا لا يدعينَّ مُدّعٍ إلا على نفسه ، شُغُلٌ من الجنةِ والنارُ أمامهُ ،ساعٍ مجتهدٍ ، وطالبٍ يرجو ، ومقصرٍ في النار، ومَلكٌ طار بجناحيه ، ونبيٌّ أخذَ اللهُ بيده : خمسةٌ لا سادسَ لهم ، هلكَ من ادّعى ، وخاب من افترى ، وردِي من اقتحم ، اليمينُ والشمالُ مُضِلُّهُ ، والوِسطى الجادةُ منهَجٌ عليه باقي الكتب والسنة وآثارُ النبوةُ "[٨٤]

في هذا النص نرى أنّ الإمام (عليه السلام) قد عمد إلى حذف الفاعل في الجملة (شُغِلَ من الجنةِ والنارُ أمامهُ) واستخدم صيغة المبني للمجهول بدلاً من صيغة المبني للمعلوم ؛ لأنّ قصدهُ هو ذكر الشغل وليس الشاغل ، أو لأنَ الشاغل معروف ،هو الله تبارك وتعالى ، وتُرك ذكره لظهورهُ أو للتعظيم والإجلال [٨٥] . وعمد الإمام (عليه السلام) أيضاً إلى حذف المفاعيل في (هلكَ من ادعى وخاب من افترى)، ذلك ليكون المرسل إليه قادراً على أن يملأ الفراغ بالمفاعيل التي تناسب الموضع ،فالمحذوف قد يكون أكثر من مفعول ، وهذه المفاعيل محكومة بقرائن لفظية من داخل النص ، فالمحذوف، قد يكون الكذب (هلك من ادعى الكذب). وقد يكون المحذوف هو (الإمامة)؛ والتقدير: (هلك من ادعى الإمامة من غير استحقاق وخاب من افترى في دعواه لها)[٨٦] ، والحذف هنا لغرض الاختصار .

الخاتمة : في ضوء دراسة الاتساق في تحقيق الترابط النصي في خطبٍ مختارة من مستدرك نهج البلاغة ، توصلت الدراسة إلى النتائج الاتية :

١- إنّ وسائل وأدوات الاتساق النصي ليست حديثة، لكن الكشف عنها ،ومحاولة توظيفها بشكلٍ عملي هو الأمر الجديد ؛ فعلماء العربية القدماء كان عندهم رؤية مبكرة في البحث اللغوي ؛ لكن من جاء بعدهم لم يطور هذه الرؤية ويستثمرها لتصل حدّ النظرية اللغوية العربية .

٢- الإحالة أهم عناصر الاتساق النصي ، فأثرها الدلالي واسع ويشمل جميع النص ،وهي أكثر عناصر الاتساق على الإيضاح والاختصار .

٣- أكثر عناصر الاتساق الإحالية وروداً في الخطب المختارة من كتاب مستدرك نهج البلاغة ، هي الإحالة بالضمائر، تليها الإحالة بأسماء الإشارة ، ثم الإحالة بالأسماء الموصولة .

٤- العناصر الإحالية قد تجتمع مع بعضها فيعود أكثر من عنصر إحالي على عنصر إشاري واحد ، وهذا فيه اختصار وتكثيف للدلالة .

٥- - وردت الإحالة بالحذف في النصوص المختارة لأغراض بلاغية مختلفة أضفت على الكلام جمالاً وأعطته خفة ، وجلبت له معاني متعددة .

٦- يشمل الحذف كلّ أجزاء الكلام (اسم ، فعل ، حرف) ، وأحياناً تُحذف جملة كاملة ، وقد يحذف جزء من الكلام عند وجود الدليل على الكلام المحذوف .

٧- للحذف دورٌ كبيرٌ في عملية الربط السطحي للنص، فالمتلقي لا يرجع إلى عنصر إشاري معيّن ليتسنى له التأويل في فهم المحذوف ، بل يرجع إلى النص كاملاً ، وهذا بدوره يؤدي إلى اتساق النص وتماسكه .

الهوامش :

[١]) مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس ، (نص) ، ٥ / ٣٥٦ .

[٢]) ينظر : الصحاح ، الجوهري، (نصص) ٣/ ١٠٥٨.

[٣]) ينظر : لسان العرب ، ابن منظور (نصص)، ٧ / ٩٨ .

[٤]) المعجم الوسيط : ٩٢٦ .

[٥]) نحو النص بين الأصالة والحداثة ، أحمد محمّد عبد الراضي : ١٦

[٦]) علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق ، د. صبحي إبراهيم الفقي : ٢٨/١ .

[٧]) نحو النّص بين الأصالة والحداثة : ١٦

[٨]) علم لغة النص المفاهيم الاتجاهات ، د. سعيد حسن بحيري : ١٠١ .

[٩]) نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي ، د. أحمد عفيفي : ٢١ .

[١٠]) ينظر : علم النص بين الأصالة والحداثة: ١٨ – ١٩ .

[١١]) المصطلحات اللغوية الحديثة ، د. محمد عناتي : ١١٦ .

[١٢]) نحو النص اتجاه جديد في الدرس اللغوي : ٢٢ .

[١٣]) نحو النص بين الأصالة والحداثة : ٢٠ .

[١٤]) ينظر : نحو النص اتجاه جديد في الدرس اللغوي : ٢٢ .

[١٥]) علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات : ١٠٨ .

[١٦]) علم لغة النص المفاهيم الاتجاهات : ١٠٨ .

[١٧]) المصدر نفسه ، والموضع نفسه

[١٨]) نحو النص بين الأصالة والحداثة :٨٢ .

[١٩]) النص والخطاب والإجراء ، دي بوجراند : ١٠٣ .

[٢٠]) النص والخطاب والإجراء : ١٠٣ .

[٢١]) ينظر : النص والخطاب والإجراء : ١٠٦ .

[٢٢]) المصدر نفسه : ١٠٣ .

[٢٣]) نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي : ٩٠ .

[٢٤]) ينظر : المعايير النصية في خطب نهج البلاغة : محمد عزيز رهيف العقابي :٢٢ .

[٢٥]) ينظر : الكتاب ، سيبويه : ٢ / ٦ .

[٢٦]) دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني : ٥٣ .

[٢٧]) النص والخطاب والإجراء : ١٧٣ .

[٢٨])المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية ، د. نعمان بوقرة : ٨٣ .

[٢٩]) ينظر : لسانيات النص مدخل إلى انسجام النص ، محمد خطابي : ١٧ .

[٣٠]) نسيج النص بحث في ما يكون فيه الملفوظ نصاً ، الأزهر الزناد : ١١٨ – ١١٩ .

[٣١]) ينظر : المعايير النصية في خطب نهج البلاغة : ٣٤ .

[٣٢]) ينظر : نحو النص بين الأصالة والحداثة : ١٢٩ .

[٣٣]) نحو النص ، أحمد عفيفي : ١١٨ .

[٣٤]) النحو الوافي ، عباس حسن : ٢١٧ .

[٣٥]) لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، محمد خطابي : ١٨ .

[٣٦]) الخصائص ، ابن جني : ١/ ٥٣٦ .

[٣٧]) ينظر : لسانيات النص : ١١٨ .

[٣٨]) مستدرك نهج البلاغة ، هادي كاشف الغطاء : ٣٧ .

[٣٩]) ينظر : الإحالة ودورها في تحقيق الترابط النصي ، د. عبد الحكيم عبد الخالق الحسن : ٣٦٥ .

[٤٠]) مستدرك نهج البلاغة : ٥٣ .

[٤١]) المصدر نفسه : ٩٣ .

[٤٢]) دلائل الإعجاز : ١٣٢ .

[٤٣]) ينظر : لسانيات النص : ١٩ .

[٤٤]) ينظر : الكتاب : ٢/ ٧٧ .

[٤٥]) النحو الوافي : ١/ ٢٦٧ .

[٤٦]) مستدرك نهج البلاغة : ٥١ .

[٤٧])المصدر نفسه : ٨٥ .

[٤٨]) المصدر نفسه : ٦٥ .

[٤٩]) النحو الوافي : ٣٤١ .

[٥٠]) ينظر : الإحالة في نحو النص ، د. أحمد عفيفى : ٢٧- ٢٨ .

[٥١]) مستدرك نهج البلاغة " ٥٥ .

[٥٢]) ينظر : التماسك النصي بالإحالة ، دراسة تطبيقية في سورة الواقعة ، د. حمادة عبد الإله حامد ، حولية كلية اللغة العربية بجرجا ، العدد /١٩ الجزء السادس ٢٠١٥ .

[٥٣]) الأشباه والنظائر ، جلال الدين السيوطي : ٢٨/١ .

[٥٤]) مستدرك نهج البلاغة : ٦٥ .

[٥٥]) المصدر نفسه : ١٦١ – ١٦٢ .

[٥٦]) الصحاح : الجوهري : (حذف): ٤/ ١٣٤١ .

[٥٧]) لسان العرب : (حذف) : ٩/ ٣٩ .

[٥٨]) القاموس المحيط : (حذف) ٧٩٩ .

[٥٩]) البرهان في علوم القرآن ، الزركشي : ٣/ ١٠٢ .

[٦٠]) ينظر : الخصائص ، ابن جني : ٢/ ٣٦٠ .

[٦١]) المثل السائر ابن الاثير : ٢/ ٢٦٨ .

[٦٢]) الكتاب : ٢ / ٣٨ .

[٦٣]) ينظر الخصائص : ٣٦٠/٢ .

[٦٤]) ينظر الصاحبي في فقه اللغة : ١٥٦ .

[٦٥]) دلائل الإعجاز : ١٤٦ .

[٦٦]) المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، للسيوطي : ١/ ٣٣١ .

[٦٧]) المثل السائر : ٢ / ٢٥٥ .

٦٨) ينظر : الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة العلوي : ٢٤٦ .

[٦٩]) ينظر : علم لغة النص بين النظرية والتطبيق ، عزة شبب : ١١٦ .

[٧٠]) لسانيات النص : ٢١.

[٧١]) ينظر : المصدر نفسه ، والصفحة نفسها .

[٧٢]) ينظر الإتقان في علوم القرآن ، للسيوطي : ٣ / ١٧٠ – ١٧١ .

[٧٣]) مستدرك نهج البلاغة : ١٣٧ .

[٧٤]) ينظر ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي : ٢٤٤

[٧٥]) سورة النجم : ٤٤ .

[٧٦]) يُنظر : ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي : ٢٢٦ .

[٧٧]) ينظر : مغني اللبيب ، ابن هشام : ٦ / ٤٥٣ .

[٧٨]) اللغة العربية معناها ومبناها : ٢٢١ .

[٧٩]) مستدرك نهج البلاغة : ١٢٣ .

[٨٠]) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق : ٢/ ٢٠٨ .

[٨١]) مستدرك نهج البلاغة : ١٢٥- ١٢٤ .

[٨٢]) ينظر : ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي : ٢٠٢ .

[٨٣]) ينظر : البلاغة العالية ، عبد المتعال الصعيدي : ٦٤ .

[٨٤]) مستدرك نهج البلاغة : ١٢٤ .

[٨٥]) ينظر : شرح نهج البلاغة ، للبحراني : ١/ ٢٠٧ .

[٨٦]) ينظر : المصدر نفسه : ١ / ٢١٠ .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

• الإتقان في علوم القرآن ، الحافظ أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي(ت ٩١١هـ)،تح :محمد أبو الفضل إبراهيم ، إصدارات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف ، المملكة العربية السعودية، ، د.ت .

• الإحالة في نحو النص ، د . أحمد عفيفي ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة .

• الإحالة ودورها في تحقيق الترابط النصي (خطبته صلى الله عليه وآله في أول جمعة صلاها نموذجاً) ، عبد الحكيم عبد الخالق الحسن سيد أحمد ، مجلة جامعة أم درمان الإسلامية – كلية اللغة العربية ، العدد التاسع ، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٧م .

• الأشباه والنظائر في النحو ، للشيخ العلامة جلال الدين السيوطي ،دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، د ت .

• البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ،مكتبة دار التراث، القاهرة، ، د.ت .

البلاغة العالية علم المعاني، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، القاهرة ، ط٢ ، ١٤١١هـ – ١٩٩١م .

• التماسك النصي بالإحالة دراسة تطبيقية في سورة الواقعة ، د. حمادة عبد الإله حامد ، جامعة الأزهر – حولية كلية العربية بجرجا ، العدد التاسع عشر، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م .

• الخصائص ، أبي الفتح عثمان بن جني، تح : محمد علي النجار، دار الكتب أبو الفضل إبراهيم ،مكتبة دار التراث، القاهرة، ، د.ت .

• دلائل الإعجاز، الإمام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي (ت٤٧١ أو ٤٧٤هـ)، علق عليه : محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي ،القاهرة ، ط٣ ، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م .

• شرح نهج البلاغة ، لكمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني ، مؤسسة الآداب الشرقية ،النجف الأشرف – العراق ، ط١ ، ٢٠٠٩ .

• الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(ت ٣٩٥هـ)، المطبعة السلفية ، القاهرة، ١٣٢٨هـ- ١٩١٠م .

• الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان ، ط٤، ١٩٩٠ .

• الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي (ت ٧٤٥هـ)، دار الكتب الخديوية، ١٩١٤م .
• ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي ، طاهر سليمان حمودة ،الدار الجامعية ، الإبراهيمية – الاسكندرية ، ١٩٩٨ م .
• علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية ، صبحي إبراهيم الفقي ، دار قباء للطباعة والنشر ، ط١ ، ٢٠٠٠ .
• علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات ، سعيد حسن بحيري ، الشركة المصرية العالمية للطباعة لونجمان – القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٧ .
• علم لغة النص النظرية والتطبيق ، عزة شبل محمد ، مكتبة الآداب – القاهرة ، ط٢ ، ٢٠٠٩
• القاموس المحيط ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت٨١٧ هـ)، تح: مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة ،بيروت ، لبنان، ط٨، ٢٠٠٥م.
• كتاب سيبويه، أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(ت ١٨٠هـ) ، تح : عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣ ، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م .
• لسان العرب ، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري ، دار صادر ، بيروت ، د ت .
• لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، محمد خطابي ، المركز الثقافي العربي – بيروت ، ط١ ، ١٩٩١ .
• اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب ، ١٩٩٤ م .
• المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين ابن الأثير(ت ٦٣٧هـ) ،تح : أحمد الحوفي ، وبدوي طبانة ، دار نهضة مصر، ط ٢ .
• المزهر في علوم اللغة ، جلال الدين السيوطي(٩١١هـ) ، تح : محمد جاد المولى بك وآخران ، مكتبة دار التراث ،القاهرة ، ط٣ ، د.ت .
• مستدرك نهج البلاغة ، آية الله العظمى الشيخ هادي كاشف الغطاء ، تح : مؤسسة كاشف الغطاء العامة ، العراق- النجف الأشرف ، ط١ ، ٢٠١٥ .
• المصطلحات الأدبية الحديثة دراسة ومعجم أنجليزي- عربي ،د. محمد عناتي ، الشركة العالمية المصرية للطباعة لونجمان ، ط٣ ، ٢٠٠٣ .
• المصطلحات الأساسية في نحو النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية ، د. نعمان بوقرة ، جدارا للكتاب العالمي ، عمان – الأردن ، ط١ ، ٢٠٠٩ .

• المعايير النصية في خطب نهج البلاغة ،محمد عزيز رهيف العقابي ،رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية ، ٢٠١٣ .
• المعجم الوسيط ،مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية ، ط٤ ، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤ م .
• معجم مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٧٩م .
• مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، لأبن هشام الأنصاري(ت٧٦١هـ)، تح : عبد اللطيف محمد الخطيب، الكويت ، ط١ ، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠ م .
• نحو النص اتجاه جديد في الدرس اللغوي ، د. أحمد عفيفي ،مكتبة زهراء الشرق – القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠١
• نحو النص بين الأصالة والحداثة ، أحمد محمد عبد الراضي ، مكتبة الثقافة الدينية –القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٨ .
• النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة، عباس حسن، دار المعارف بمصر، ط٣ ، ١٩٧٤ م .
• نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً ، الأزهر الزناد ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٣ .
• النص والخطاب والاجراء ، روبرت دي بوجراند ، ترجمة : د. تمام حسان ، عالم الكتب القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٨ .